East African Scholars Journal of Education, Humanities and Literature

OPEN ACCESS

Abbreviated Key Title: East African Scholars J Edu Humanit Lit
ISSN: 2617-443X (Print) & ISSN: 2617-7250 (Online)
Published By East African Scholars Publisher, Kenya

Volume-6 | Issue-4 | April- 2023 | DOI: 10.36349/easjehl.2023.v06i04.003

Case Report

الكتابة الأعجمية وأثرها في صون التراث القومي (اجذومنأ يواسوهلا بدألا)

Dr. Muhammad Inuwa S. Dalha[1*] and Dr. Bashir Isah[1]

[1]Department of Arabic, Federal University Gusau, Zamfara State, Nigeria

Article History
Received: 25.02.2023
Accepted: 11.04.2023
Published: 14.04.2023

Journal homepage:
https://www.easpublisher.com

Quick Response Code

ملخص البحث

عالجت هذه الورقة قضايا تتعلق بتاريخ وصول اللغة العربية إلى بلاد الهوسا منذ زمن عريق جدا، و كيف اعتنق الشعب الهوساوي الدين الإسلامي عن طريق التجار العرب، الأمر الذي مهد الطريق لانتشار اللغة العربية فى المنطقة المعروفة باسم ممالیك الهوسا. و بما أن الإسلام واللغة العربية توأمان ، لا ينفك أحدهما عن الآخر، و أن الإسلام دين يدعو إلى العلم كان لزامًا على الشعب الهوساوي أن يتعلم اللغة العربية بقدر ما يؤدون به شعائر دينهم، إضافة إلى ما تعلموه من أمور تجارتهم كأسماء البضائع والأعداد وغير ذلك. ولما تمكّن الإسلام من ترسيخ جزوره في المنطقة أقبل الشعب الهوساوي على تعلم اللغة العربية و الفنون الإسلامية ، حتى نبغ منهم عدد غير قليل في اللغة العربية و أدبها ، و في الفنون الإسلامية الأخرى ، فانتشرت اللغة العربية حتى أتقنها خلق غفير من أبناء المنطقة ، وتأثروا بها تأثرا كبيرا لدرجة أنهم صيروها لغة رسمية، واتخذوا حروفها رمزا يكتبون به لغتهم، فسميت هذه الظاهرة بالكتابة الأعجمية، وعمَّت ظاهرة هذه الكتابة الأعجمية لغة الهوسا، والفلاتا، واليوربا وغيرها من اللغات المحلية. وهدفنافي هذه المقالة هو إبراز الدور الفعَّال الذي قامت به الكتابة الأعجمية في صون التراث الأدبي الهوساتي وحفظه من الضياع والله من وراء القصد، وهو المستعان وعليه التكلان.

Copyright © 2023 The Author(s): This is an open-access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution **4.0 International License (CC BY-NC 4.0)** which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium for non-commercial use provided the original author and source are credited.

مقدمة:

الكتابة ركن هام في صون ما أنتجته قرائح جميع الأمم ، وبدونها تضمخل هذه الإنتاجات و تتلاشى، خصوصا إذا طالت عليها الأزمان ولعبت بها يد الأيام!! تهدف هذه الورقة توضيح الخدمة المرموقة التي قامت بها الكتابة الأعجمية في صون التراث الأدبي الهوساتي وحفظه من الضياع. و يرجع الفضل في نشأة هذه الكتابة إلى ذلكم الاتصال بين الأمة الهوساتية والأمة العربية و إلى تلكم العلاقة القوية التي تمت عن طريق الدين والتجارة: تلكم العلاقة التي أدت إلى صيرورة الأمة الهوساوية أمة مثقّفة بعد كونها أميّة.

والكاتبان - إذ يعالجان هذا الموضوع - تناولا النقاط الآتية:

أ / ماهية الكتابة الأعجمية

ب / نشأة الكتابة الأعجمية عند الهوساويين.

ج/ عوامل نشأتها (التجارة و الدين)

د / أثر الكتابة الأعجمية في صون التراث الهوساوي و حفظه من الضياع.

***Corresponding Author:** Dr. Muhammad Inuwa S. Dalha (mhdinuwa2013@gmail.com)
Department of Arabic, Federal University Gusau, Zamfara State, Nigeria

و في الختام سجل الباحثان نتائج بحثهما و اقترحا بعض الأشياء التي تبدو لهما مفيدة في تطوير هذه الكتابة الأعجمية؛ و ما التوفيق إلا بالله العلي العظيم.

أولا : ماهية الكتابة الأعجمية :

إن المصطلح (الكتابة الأعجمية) يتكوَّن من كلمتين، نسبت إحداهما إلى الأخرى. أما الأولى (الكتابة) فعبارة عن تصوير اللفظ بالحروف الهجائية[i]. وأما الثانية (الأعجمية) فنسبة إلى الأعجم، غير العربي2. إذن، فإن ما اصطلح عليه القوم ب(عجمي) عبارة عن كتابة اللغة المحليَّة بالأحرف العربية .

ثانيا: نشأة الكتابة الأعجمية عند الهوساويين:

يمكن القول بأن هذه الحركة بدأت بتعليم الصغار حروف القرآن ، حيث أسّست كتاتيب لتعليم الصغار القرآن الكريم و مبادئ الدروس الإسلامية ، وكانت اللغة المحلية (لغة الهوسا أو غيرها حسب المكان) هي اللغة المستخدمة في الدرس وكانو يطلقون على كل حرف اسماً لائقاً به، وعندئذ أقبل الشعب الهوساوي على العلم خصوصا بعد أن اعتنق الإسلام ، . و استمر التعليم حتى انتشر العلم ومحيت الأمية التي كان الشعب يعاني من ويلاتها قبل انتشار الإسلام بينهم.. و تمكنّ كثير من أبناء هذا الشعب من القراءة و الكتابة (في اللغة العربية). و لما كثر العلم و ارتفعت الهمم ظهر هذا النوع من الكتابة في القرن الميلادي السابع عشر[ii] وأطلقوا عليه اسم (عجمي) أي كتابة اللغة المحلية بالحروف العربية وكانوا يكتبون بها وثائقهم و يتراسلون بها فيما بينهم . و لم يكن الشعب الهوساوي أول من ابتدع هذا النوع من الكتابة ، بل إنها معروفة لدى كثير من المسلمين داخل نيجيريا وخارجهاكما أشار إلى ذلك أُوريمَادُغُنْ بقوله:

" ظاهرة الكتابة العجمية ـ أي كتابة اللغة الأعجمية بالحروف العربية ليست جديدة في تأريخ اللغة العربية . و إنما كانت معروفة لدى المسلمين النيجيريين الذين من ضمنهم اليربويون قبل استيلاء المستعمرين البريطانيين 4 فالهوساويون كغيرهم من المسلمين تأثروا باللغة العربية تأثراً غير قليل حتى إنك لتجد كثيراً من مفرداتها إما عربياً بقي على عربيته و إما مهوّساً أُحدث فيه شيئ قليل من التغيير.

ثالثا: عوامل نشأة الكتابة الأعجمية عند الهوساويين:

و انطلاقا مما تقدم، يمكن حصر هذه العوامل في عاملين مهمين، هما:

الأول: هو العامل الديني : يذكر غلانثي(1993)م أن قيام ولايات الهوسا يرجع تأريخه إلى القرن العاشر الميلادي ، و أن دخول الإسلام فيها قد تم عن طريق التجار العرب، وأنه كان بشكل سلمي ، و لما كان الإسلام دينا يدعو إلى العلم و المعرفة بدأ القوم يتعلّمون ما يقيمون به شعائر دينهم ، فكان ذلك نقطة البداية للتعلم عند الهوساويين 5، و استمرت الحال و الثقافة العربية و الإسلامية تزداد رواجاً، و أخذ العلم ينتشر بين الشعب حتى قيام الجهاد الفودوي على يد المجدد الكبير ،الشيخ عثمان بن فودي ، حيث نبغ في العلم واللغة جم غفير من أبناء هذا القطر؛ نذكر منهم على سبيل المثال العلامة السوداني ، العالم الفقيه، و الأديب الأريب والشاعر المفلق ، والمفسّر المتقن ، الشيخ عبد الله بن محمد الفودي الذي كان بحراً في كل الفنون العلمية الموجودة في عصره، إذ لم يكن في عهده فن من فنون العلم و المعرفة إلا و قرع بابه و ولج فيه . و جملة القول : إن الشيخ عبد الله بن فودي كان كما قال القائل:

و النحل لما جنى من كل فاكهة ** أتى بالجوهرين الشمع و العسلا

فالشمع نور مضئ يستضاء به ** و العسل يبرئ الأسقام و العللا

و لقد ساعدت ل في تطور حركة الثقافة العربية و الإسلامية في بلاد الهوسا آنذك عدة عوامل ، منها : وفود جماعة من العلماء أمثال الشيخ المغيلي و غيره . و منها أيضاً ورود بعض الكتب العلمية و اللغوية من الدول العربية و الإسلامية . و منها السفر إلى الحج . وفوق ذلك كله الجهاد العثماني الذي أقام حكومة مبنية على أساس الدين و العلم . قام كل ذلك بدور هائل في نشر الثقافة العربية و الإسلامية في بلاد الهوسا.

وأما العامل الثاني لنشأة الكتابة الأعجمية عند الهوساويين فهو عامل التجارة بينهم و بين العرب. فقد أثبت التاريخ وجود علاقة بين العرب و الأحباش الذين تفرَّعت عنهم الهوساويون (على رأي المرحوم يوسف ميتما سلي).
وتظهر هذه العلاقة التي كانت بين العرب والأحباش في أن الرسول صلوات الله و سلامه عليه لما أمر أصحابه – رضوان الله تعالى عليهم – بالهجرة الأولى أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، حيث النجاشي، ذلكم الملك العادل الذي ما كان يُظْلَمُ الضعيف عنده!

ويرى غلادنثي أن العلاقة التجارية بين الأمتين العربية (وعلى الأخص عرب المغرب العربي) و الهوساوية بدأت منذ تلك الفترة (القرن السابع الميلادي) ، و أن اللغة العربية وضعت قدميها فى المنطقة بشكل) مبدئي (منذ ذلك الحين) 6، وأوضح أن بعض الكلمات العربية دخلت في اللغة المحلية ، و خاصة لغة الهوسا بسبب هذه العلاقة . فمن أمثلة هذه الكلمات الدخيلة في لغة الهوسا أسماء البضائع المستوردة من بلاد العرب كالحرير ، و السرج ، و الزعفران و غيرها . و من ذلك أيضاً ألفاظ العقود من الأعداد) من عشرين إلى تسعين . (كما انتشرت بين الهوساوين كلمات عربية لا غنى لهم عنها في تجارتهم ، كالأمانة و الغش و غيرهما من الكلمات العربية التي شاعت على ألسنتهم . و من ذلك أيضاً أسماء الأيام .

رابعا : أثر الكتابة الأعجمية في صون التراث الهوساوي وحفظه من الضياع:

لقد أثبتت المراجع وجود عدد كبير من التراث الأدبي الهوساوي الذي كتب بهذا اللون من الكتابة منذ القرن الميلادي السابع عشر، وذكرت أن هناك عالما من علماء تلك الحقبة، اسمه عبد الله ثقة ألف كتابا اسمه رايور أنَّب موسى (حياة موسى عليه السلام)، وأن هذا الكتاب موجود في المتحف بجوس نيجيريا.7 و ممن كتبوا الأشعار بهذه الكتابة في القرن السابع عشر أيضا الولي طن مرنا **(Dan Marina)** و معاصره الولي طن مسنا **Dan (Masana)**، فقد ألف كل منهما عديدا من المؤلفات، منها أشعار في لغة الهوسا.8 ولما قامت الثورة الإصلاحية على يد المجد الكبير، الشيخ عثمان بن محمد فودي رحمه الله، ازدهرت الكتابة و كثر التأليف على يد الشيخ و أتباعه الذين خلفوا لنا تراثا ضخما في الدعــوة والإرشاد في كل من اللغة العربية واللغات المحلية، بما فيها لغة الهوسا، و كان ذلك شعرا ونثرا. فسمي ما كتب في ذلك من الشعر ب"شعر الجهاد". وهكذا كانت الكتابة الأعجمية تنمو وتزدهر إلى جاء الاستعمار الأجنبي الغاشم الذي حاول محوها وإزاحة الثقافة العربية والإسلامي بكل ما لديه من الإمكانيات، إلا أن صنيعه باع بالفشل والخسران واحتفظت ثقافتنا بكيانها إلى هذا اليوم. و من الذين كتبوا بالأعجمية من المعاصرين الدكتور عقيل علي، له ديوان يحتوي على أشعاره وسمي الديوان بالفصاحة العقيلية، كما ظهرت في كنو عام 1980 م جريدة الفجر، وهي صحيفة أسبوعية تصدر في كل جمعة، مكتوبة بالأعجمية، و أن هذه الكتابة موجودة على صفحات أوراقنا المالية و عملاتا كذالك.

تلك لمحة موجزة عن بداية الكتابة العجمية عند الهوساويين ، و الآن بنا إلى بعض النماذج من هذه الكتابة لنرى مدى تأثير اللغة العربية في اللغات المحلية النيجيرية) لغة الهوسا خصوصاً (، و قد أورد الباحثان نموذجين شعريّين ، و نموذجاً نثريًّا واحداً ، و ذلك على سبيل المثال ، لا الحصر ، فإنه - كما يقال - بالأمثلة تتضح المقاصد. وإنه لمن الصعوبة بمكان أن يحاول الباحثان حصر ما سجّلته أقلام علماء هذه البلاد فى لغتهم المحلية ، مستوظفين في ذلك الحروف العربية . و إنما يحاولان في ثنايا هذا المقال أن يضعا يد القارئ الكريم أو المستمع العزيز على بعض الإسهامات الجبّارة ، و الجهود المضنية التي بذلوها في هذا المجال لتكون شاهدادًا على مدى تأثير لغة الضاد على اللغات المحلية في نيجيريا ، (لغة الهوسا خصوصاً) ،و على مدى تأثُّر تلك اللغات بها.

النموذج الأول : يائية المديح النبوي للشيخ محمد النصر الكبري 7المحتوية على ستة و أرعين بيتاً ، و هي من بحر الرجز ، و فيها يقول:

بِيْغِنْ محمد يا ثِكـَـــــــا مِنِ زوثـِــيـــَـا ** أ ثِكِنْتَ با سَوْرَنْ مَحَلِّي كُوْ طَيَا
و الله غرواشن بطر سادو دشي ** يا قون سسّن زوثيا ويّو نـــــــــــيا
يـــا قون هنتـــا هر د هنجايي دكا ** يا بر هواين زوثيـا د إدانيـــــــــا

قونرك تـــا قونن بكـــاتر زوثيـــــــــــــا ** دُكَ باب سورن مـــا باكاتر دونيا
إن ما أكُويْ سَوْرَنْ بُكَاتَرْ زُوثِيَا ** سَيْ كو غننك د يمَّثي كو سافيا
عبّر الشاعر في الأبيات الخمسة المتقدّمة عن حنينه و شوقه المزمن إلى رؤية الحبيب ، و يقول إن نار هذا الشوق أحرقت كل ما في جوفه بحيث لم يبق في الجوف شئ إلا الطمع و الأمل في مشاهدة هذا الحبيب صلى الله عليه و سلم و رؤيته في أي وقت من الأوقات ، و أية لحظة من اللحظات.
و له منظومة أخرى في الشعر التعليمى ، و أبياتها مائة و تسعة عشر بيتاً و موضوعها الفقه و العقيدة ، و هي من بحر الكامل . يقول فيها :
دَ سُونَنكَ جَلَّ محمد طَنْ ** محمد زَيْظارَ واقـــا كَطَنْ
إنَا يِنْ صلاتي إنا ين سلام** غأحمد خير الورى سَرْمَدَنْ
إنا غيد ءال إنا غيد صحب ** د ماس بياتس هر أبدن
نفينـــا إميد بتن قرطبيه ** د هوسا كدن جلَّ يـــــا آغزن
فعولن فعولن فعولن فعولن ** مأونن كماله يزو نندنن
عباد دجهل زما كن وتا ثي ** بتا سام هنير شغا كو كطن
أوضح الناظم في الأبيات المتقدّمة غرضه من هذه المنظومة ، فقال إنه أراد تهويس المنظومة القرطبية المشتملة على كثير من القضايا الفقهية على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى ، و على مسائل عقائدية ، و نبّه كذلك على أهميّة العلم الذي بدونه تكون العبادة عبثاً و غير مقبولة ، و بيّن أن من من يعبد الله بجهل لا يزداد من الله إلا بعداً، و ذلك بعد البسملة و الحمدلة و الصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و آله و صحبه و سلّم .
هذه هي بعض النماذج الشعرية المكتوبة في لغة الهوسا بالحوف العربية .

اقتراحات :

يقترح الباحثان إعادة النظر في كتابة بعض الأصوات الهوساوية ، و ذلك لكونها بعيدة عن أصلها العربي.
فالحرف/ ث/ مثلا يرمز به الهوساويون في كتابتهم لصوت (تش) و هذا بدوره يؤدي إلى الغلط في النطق ببعض ألفاظ القرآن . كما توجد هناك أصوات ليس الهوساويون متفقين في كتابتها؛ لذلك يجب على المهتمّين بأمر هذه اللغة المباركة أن ينظروا في الأمر ، بغية إيجاد طريقة سوية لتوحيد هذه الكتابة حتى يتم إيجاد طريقة سليمة و موحدة في كتابة أصواتها . كما يشيد الباحثان بالدور المحمود الذي قامت به مؤسسة إبراهيم الطيب الخيرية في إيجاد طريقة موحدة لكتابة الهوسا بالأحرف العربية حاسوبيًّا.

الخاتمة:

و في الختام أسفرت الورقة عن وجود علاقة تجارية قديمة بين بلاد العرب و ممالك الهوسا ، و أن هذه العلاقة هي التي انتشر الإسلام عن طريقها في بلاد الهوسا ، و أن هذا الانتشار فى هذه البقعة الطيّبة كان عن طريق سلمي.
و أن تاريخ نشأة الكتابة الأعجمية عند الهوساويين يرجع إلى القرن السابع عشر الميلادي
و رأينا كذلك أن تعليم القرآن الكريم هو الحجر الأساسي لنظرية الكتابة الأعجمية ، و أن تلك النظرية ليست أمراً مستحدثاً عند الهوساويين ، و إنما هي ظاهرة موجودة لدى كثير من الأمم المسلمة في شتى أقطار المعمورة .
فالحمد لله أولاً و آخرًا.

الهوامش و المراجع:

1المنجد في اللغة والأعلام، تحت كتب.
2 المنجد، تحت عجم.

3 Ibrahim Y. Yahya (Professor), 1988, Tarihin Rubuce-Rubuce cikin Hausa, Gaskiya Corporation Zaria.

4 حميد أريمادغن داود ، اللغة العربية و تحديات القرن الحادي و العشرين : توحيد الكتابة اليوربوية بالحروف العربية "مجلة اللسان النيجيرية "، العدد الثاني ، 2004م ، نتسيدا ، ص : 43

5 غلادنثي شيخو أحمد سعيد (الدكتور) ، حركة اللغة العربية و آدابها في نيجيريا من سنة 1804م إلى سنة 1966م ، ط/2 ،1993م ، ص : 59 .

6 غلادنثي ، مرجع سابق ، ص : 60 و ما بعدها .

7 Ibrahim Yaro Yahya, Tarihin rubuce-rubuce cikin Hausa, page 31.

8 المرجع نفسه، ص:36 و ما بعدها.

9 الشيخ محمد الناصر بن محمد المختار الكبري الصنهاجي . ولد عام 1921م على خلاف بين المؤرّخين ، و تو توفّي عام 1996م . (يُنظَر : المتبولي شيخ كبر (الدكتور) ، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري ، ط/ 1 ، 2013م ، شركة القدس للتصدير ، القاهرة ، ص : 50 و 80

ثبت المراجع:

القرءان الكريم

المنجد في اللغة والأعلام.

- Ibrahim Y. Yahya (Prof.), 1988, Tarihin Rubuce-Rubuce cikin Hausa, Gaskiya Corporation Limited, Zaria, Nigeria.
- غلادنثي شيخو أحمد سعيد (الدكتور) ، حركة اللغة العربية و آدابها في نيجيريا من سنة 1804م إلى سنة 1966م ، ط/2 ،1993م.
- المتبولي شيخ كبر (الدكتور) ، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر الكبري ، ط/ 1 ، 2013م ، شركة القدس للتصدير ، القاهرة .
- نتسيدا "مجلة اللسان النيجيرية "، العدد الثاني 2004م.

Cite This Article: Muhammad Inuwa S. Dalha & Bashir Isah (2023). بدألا) الـ كـ تابـ ة الأعـجـمـ يـة وأثـ رهـا فـ ي صـون الـ تراث الـ قومي الـهو ساوي أنـموذجا). *East African Scholars J Edu Humanit Lit, 6*(4), 168-172.